Majallah-e-Tahqiq
Research Journal of
the Faculty of Oriental Learning
Vol: 31, Sr.No.78, 2010, pp 277 – 294

مجلہ تحقیق
کلیہ علوم شرقیہ
جلد ۳۱اپریل ــ جون ۲۰۱۰، شمارہ ۸۷

من علماء شبه القارة الهندية – مرزا خان البركي

د. أبوالوفا محمود

Abstract

There had been several such scholars in the history of sub-continent who served a lot in the field of teaching and compilation, but we regret to say that due to various reasons they could not be made remarkable in the pages of history. One of the reasons is that those areas of Punjab where there had been conflict between Muslims and Sikhs, It was the Sikh community who burnt a large number of Muslim's libraries, their houses along with their intelligent scholars to ashes. One of such scholars was Auhaduddin Mirza Khan Barki, he was born in Jalundar, and who is consider an important figure amongst the Seerat writers of 11th century AfH. His work on prophet's Seerah is in Arabic language, whose name is Nazm-ud-durar Wal Marjan. Historians mentioned his name with reference to his works but his life particulars are yet hidden from people's sight. In this dissertation a humble attempt has been made to bring forth his personality details and his education status to light.

حفل القرن الحادي عشر بالعديد من العلماء الأفذاذ ، والأئمة الأعلام في شبه القارة الهندية .لكن مع الأسف الشديد ليس هناك مصدر يبيّن تراجم علماء بنجاب ، أيّا ما كان سببا ؛ إهمال هذه المنطقة أو ضياع التراث الإسلامي نتيجة هجمات "السيخ" المتتالية ، أو كما أشار إلى ذلك محمد أيوب القادري في مقدمة ترجمة الكتاب "تذكرة علماء هند" بالأردية :

• Assistant Professor, Sheikh Zayed Islamic Centre, University of the Punjab, Lahore

أو كما أشار إلى ذلك محمد أيوب القادري في مقدمة ترجمة الكتاب "تذكرة علماء هند" بالأردية :

"لما رأيت مصادر التراجم لهذا الكتاب ، أحسست أن الشيخ رحمان علي لم يجد مصدرا لعلماء بنجاب ، و دكن ، و وسط الهند ، و مدراس ، و بنغال . لذا لا أرى ترجمة لعلماء هذه المناطق" .(1) وها نحن نقدّم في هذه السطور دراسة مفصلة لشخصية لها مكانة متميّزة في أوساط علماء شبه القارة الهندية .

هو أوحد الدين مرزا خان بن نور الدين بن بايزيد مسكين (بير روشان) بن محمد شيخ بن بايزيد (بابا شهباز برند) بن شيخ محمود بن سراج الحق والدين بن شيخ إبراهيم دانشمند بن محمود بن حمزة بن داود بن شمس الدين بن خليل بن لقمان بن حداد بن منصور بن محمد بن زيد (2)بن أبي منصور بن محمد بن مِت(3) بن أبي أيوب الأنصاري .

وفي " تنبيه الأغبياء " كتب المؤلف اسمه على النحو التالي : مرزا خان الملقب بأوحد الدين – المدعو على لسان بعض العارفين بمرزا جان بالجيم مكان الخاء المعجمة – البركي الجالندهري . (4)

وكتب ابنه الوحيد بهلول البركي في مقدمة " شرح ديوان حافظ " اسمه و اسم أبيه على النحو الآتي :

" بهلول كَول بن مرزا خان البركي ثم الجالندهري " .

---

* الأستاذ المساعد بمركز الشيخ زايد الإسلامي بجامعة بنجاب

حياته :

لا تسعفنا المصادر الموجودة لدينا بأخبار مفصلة عن حياة الشيخ مرزا خان البركي ، ولكننا حاولنا أن نجمع أخباره المتناثرة من المصادر المتفرقة .

مولده ونشأته :

ولد أوحد الدين مرزا خان البركي بحيّ " كرار خان " أحد الأحياء التابعة لمدينة جالندهر. أما تاريخ مولده فمجهول ، وجميع المصادر التي رجعنا إليها لا تشير إلى تاريخ مولده ، إلا أن القرائن تدل على أنه ولد في هذا الحي ، في

النصف الأول من القرن العاشر . وهذا الحي أسسه الشيخ أحمد غوث رحمه الله في زمن حكم سكندر لودهي ، أحد ملوك أسرة أفغانية ، وسماه " البرك " على اسم قبيلته لتدل على أن القاطنين بها هم البركيون . توفي الشيخ أحمد غوث رحمه الله تعالى فيه ودفن هناك . ثم حوّل اسمه بعد ذلك إلى " محله كرار خان " .

كان هذا الحي القديم يقع في شمال جالندهر ، الذي ولد فيه بايزيد "بير روشن " ، جدّ مرزا خان . وحين دارت رحى الحرب بين أصحاب الحركة الروشانية وبين جيوش جلال الدين أكبر ، قتل أصحاب بايزيد ودفنوا كثيرا منهم في هذا الحي ، كما دفن فيه رأس أحد داد خان بن شيخ عمر ، ابن عم مرزا خان(5). ولما هاجمت السيخ هذا الحي عام 1757 الميلادي بقيادة زعيمهم بربهاغ سنغ (Barrbhag Singh)، ودمّروه تدميرا ، وحرّقوه (6)، فاستشهد يحيى خان بن بهلول ، حفيد مرزا خان في عنفوان شبابه مع شبان حي كرار خان ، الذين دافعوا عنه .(7)

ومن قاطني هذا الحي أحد علماء جالندهر البارزين ، المولوي جان محمد خان البركي – الذي كان ينتقد آراء بهلول البركي حول السماع _ قام ليأخذ الثأر لهؤلاء الشباب البركيين الشهداء .(8)

فمن الشواهد المذكورة آنفاً نستدلّ أن الحي " محله كرار خان " هو مسقط رأس مرزا خان البركي .

أسرته :

ينتسب الشيخ أوحد الدين مرزا خان إلى أسرة "بركي" . وكان جدّه الشيخ إبراهيم دانشمند من العلماء والدعاة ، ومن الصفوة التي اجتباها الله لمناصرة دينه . كان منه ومن ذرّيته العلماء والقادة والصوفية ، أمثال شيخ بايزيد بابا شهباز ، وشيخ إبراهيم البركي ، وشيخ عثمان بن شيخ الله داد دانشمند ، وشيخ أحمد غوث ، وبايزيد بير روشان ، وشيخ يوسف بن شيخ أبي بكر ، وشيخ مير داد ، وشيخ درويش البركي ، وبهلول البركي ابن المؤلف ، وحضرت ميان عبدالغفور ، والمولوي جان محمد البركي وغيرهم . ومن ذرّيتهم جاء أصحاب زلزلوا دعائم السلطنة المغولية .

كان آباؤه أصحاب العلم والورع والبسالة ، وكانوا يقومون بالتجارة ، يشترون الخيل من أفغانستان ويبيعونها في الهند ، ويستوردون البضائع الهندية ، إلى أن هاجروا إلى جالندهر ، فاتخذوها مركزاً لتجارة الخيل والحرير .

فالشيخ أوحد الدين مرزا خان هو أنصاري و بركي ؛ لأن أولاد شيخ إبراهيم دانشمند ينتسبون إلى قبيلة " برك " مع أنهم أنصار . ففي " تذكرة الأنصار " : إن آباءنا كتبوا لأنفسهم " البرك " (9) ، كما نرى في نهاية إحدى النسخ المخطوطة لتفسير القاضي البيضاوي التي نسخها إبراهيم البركي من أولاد إبراهيم دانشمند عام 772هـ :

" تمّ الكتاب بكرمان بعون الله الملك الوهاب على يد الضعيف الراجي إلى رحمة الله إبراهيم البرك يوم الأربعاء نصف رمضان سنة اثنين وسبعين وسبعمائة "(10).

يمكن أن هذا الشيخ إبراهيم بن بايزيد بابا شهباز ، أو يكون إبراهيم آخر .

وكتب الشيخ عالي في نهاية الكتاب " المختصر " نحو ذلك :

" فوقع الفراغ من تنسيق الكتاب المسمى بالمختصر للإمام العالم العامل الزاهد الشيخ أبي بكر محمد بن أحمد الإسكاف رحمه الله تعالى ، على يد الضعيف المتعطش إلى قطرات بحار رحمة الله الغني شيخ رحيم داد بن شيخ الله داد بن شيخ إبراهيم الدانشمندي البركي يوم الخميس السادس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وتسعمائه "(11) .

وقبيلة " بركي " انتشر أفرادها في البلاد ، فسكن بعضهم في لوغر التي تقع في أفغانستان واستوطن بعضهم في قرى وزيرستان الواقعة على الحدود الغربية الشمالية لباكستان ، كما يوجد بعض الأسر في جالندهر بالهند . والذين سكنوا في كاني كُرم ، ووادي لوغر ، ومستوئي ، وبركي بارك ، وبركي جكاري وغيرها لهم لغة خاصة تسمى اللغة الأرمرية أو البركية إلى جانب لغتهم البشتو . وبيّن أولف كارو عدد هذه الأسر سنة 1950م ثلاثة آلاف أسرة . ولكن في القاموس الجغرافي لمديرية جالندهر لعام 1904م كان عددها ثمانية آلاف أسرة (12) .

وهم من الأكراد ، لهم لغة " أرمرية " مستقلة .(13) فسمّي البرك "أرمر" أيضاً ، وذلك حين هاجم السلطان محمود الغزنوي "سومنات" ، أشعلت الهندوس ناراً حول الصنم "أكني" . فأظهر رجال هذه القبيلة شجاعة فائقة في الحرب وسبقوا في عبور هذه النار المشتعلة ، فسُمّوا "أرمر" أي (مطفئو النار). ففرح ببسالتهم السلطان محمود وأقطع لهم "كاني كرم " وما جاورها .(14)

سبب تسمية أولاد إبراهيم دانشمند " البركي " :

اختلف الناس في نسب هذه الأسرة ، فقال بعضهم : إنهم أنصار ، ويرى الآخرون أنهم بركيون . والصواب أنهم أنصار بركيون . وذلك أن شيخ إبراهيم دانشمند جاء من المدينة المنورة إلى بغداد 632) ومكث ـلزيارة مرشده الشيخ شهاب الدين السهروردي (540 عنده فترة من الزمن ، واكتسب من فيوض علمه . و بعد وفاته رحمه الله تعالى سافر شيخ إبراهيم إلى ملتان لزيارة أخيه في الدين الشيخ 666) المتمسك بالطريقة ـالمخدوم بهاء الحق والدين زكريا (566 السهروردية . ولما أراد شيخ إبراهيم العودة إلى بغداد ، طلب منه حليفه في الطريقة الشيخ بهاء الدين أن يذهب إلى قبائل " برك " الذين كانوا يسكنون في كوهستان أفاغنة ، وهم في أمسّ الحاجة إلى معلم ديني ومرشد روحي الذي يربّيهم ويهذّب نفوسهم. فذهب شيخ إبراهيم إلى قرية "مستوني"(15) طوعاً لأمره ، وأقام في قبيلة " برك".

تزوّج شيخ إبراهيم ابنة ملتاني خان البركي ، سيد قبيلة داود خيل . والقبيلة معروفة بـ"لاهوري". فرُزق منها أربعة أبناء نجباء ، هم : شيخ سراج الحق والدين ، و شيخ محمود ، و شيخ يوسف ، و شيخ لال . فكان منهم ومن ذرّيّتهم علماء وأبطال . وكان سنه حين بدأ الحياة الزوجية نحو سبعين سنة ، وقيل أكثر . والله أعلم .

بناءاً على طلب البركيين أوصى شيخ إبراهيم أولاده أن ينسبوا أنفسهم إلى قبيلتهم . منذ ذلك الوقت بقي أولاده في قبيلة برك ، واندمجوا بهم حتى أصبحوا منهم ، وعاشوا زمنا طويلا في قرية مستوني إلى أن وقع النزاع بين فريقي البركيين(16). فهاجر فريق منهم إلى " كاني كُرَم " بقيادة شيخ بايزيد (بابا شهباز برند).(17) والفرق بين البركيين وأولاد شيخ إبراهيم أن أولاده يسمون "دانشمند" ، و"دومير" أو"دوبير" .

سافر مرّة محمد شيخ بن بايزيد الأول إلى الهند في رحلة تجارية ، ومكث في جالندهر عند أخيه شيخ أبي بكر ، فأعجب بابنته ، فخطبها من أبيها إلى أحد أبنائه ، فشرط عليه شيخ أبو بكر أن يرسل

ابنه إلى جالندهر . فجاء ابنه عبد الرحمن إلى جالندهر ، وتزوّج ابنة عمه تسمّى "أيمنة".(18) فأنجبت له بنتاً ، ثم توفي عبد الرحمن . حين سمع أخوه عبد الله خبر وفاة أخيه ، قدم جالندهر ، وعقد على فأنجبت له "بايزيد" عام 931هـ . وبعد ولادته –أيمنة - أرملة أخيه بأربعين يوماً ، ترك عبد الله زوجته وولده ، وعاد إلى الزوجة الأولى . ثم طلّق أيمنة بعد ست سنوات . وكان لهذا الحادث أثر بالغ في حياة بايزيد .

تزوّج بايزيد بي بي شمسو ، ابنة عمه شيخ حسن ، فأنجبت له خمسة أبناء : شيخ عمر ، وكمال الدين ، ونور الدين ، وخير الدين ، وجلال الدين . أما ابنه شيخ دولت فهو من الزوجة الثانية ، وتوفي صغيراً .(19)

كان لبايزيد عدّة مصنفات تدلّ على شخصيته العلمية الفذّة ، هي :

1. صراط التوحيد : ألّفه عام 978هـ .
2. خير البيان : بثلاث لغات : العربية والفارسية والهندية .
3. حالنامه : يحتوي على 15 جزءاً .
4. فخر الطالبين .
5. مقصود المؤمنين : في التصوف ، باللغة العربية .(20) نقله إلى الإنجليزية د. مير ولي مسعود .

مدينة جالندهر :

تقع مدينة جالندهر بين نهري " بياس " و " ستلج " ، فسمّي في عهد الإمبراطور المغولي جلال الدين أكبر "دو آبه بست جالندهر "(21) . كانت جالندهر أكبر مركز لصناعة الحرير ، يُظنّ أنها أقدم مدينة في بلاد الهند ، لا نعرف تاريخها بالضبط ، كما لا نعرف مَن عمّرها أوّلاً . ففي ضوء " مها بهارت " والكتب الأخرى للهنود يصل تاريخه إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد(22) .

كان للمسلمين نسبة غالبة من سكان جالندهر حيث كانوا سبعين في المائة ، حسب تقرير أعِدّ عام 1941 م . وكانت مساحة مديرية جالندهر حينذاك 1342 ميلا مربعاً .

تمتاز مدينة جالندهر في القارة الهندية من ناحية مكانتها التاريخية والأدبية والسياسية والثقافية والاجتماعية ، كما أنجبت العباقرة والشخصيات الفذّة ، فكانت معدن العلم وموئل العلماء . لذلك قال السيد محمد علي جناح في خطبته عام 1942م :

" إذا كان إقليم بنجاب يدّ ضاربة للهند ، فأقول : إن جالندهر هي قلب بنجاب النابض بالحركة والاستعداد " (23) .

دخلها المسلمون أول مرة سنة 451 هـ مع ظهير الدولة إبراهيم شاه ، وقيل : مع السلطان محمود الغزنوي .

قدوم البركيين إلى جالندهر :

عندما سيطر السلطان بهلول لودي أحد ملوك الأسرة الأفغانية على عرش دهلي ، دعا منات القبائل الأفغانية أن يسكنوا في الهند . فجاءت القبائل الأفغانية تلبية لدعوة الملك ، وكان من بينهم البركيون . فأعمرهم في مدينة جالندهر سنة 855 هـ ، بناءاً على أهميتها الجغرافية . فأسس البركيون حيّاً " محله رسته أخوند " . ثم هاجرت مجموعة من البركيين من قرية مستوني بقيادة شيخ أحمد غوث عام 923 هـ في زمن سكندر لودي . فبنوا حيّاً آخر مستقلاً ، عرف بحيّ " بركيان " ، وسمّي بعدئذٍ بحيّ " كرار خان "(24) .

ثم نزلت قافلة أخرى كبيرة بجالندهر عام 1026 هـ بقيادة شيخ العالم شيخ درويش ، الذي اشترى لهم ضيعة من أفاغنة "الودهي" . وكانوا 260 أسرة من البركيين ، وغُزْ ، وأرمُر (25) ، فأسسوا ثلاثة أحياء جديدة . كان البركيون أصحاب السيف والقلم ، وتجّار الحرير والخيل ، فازدهرت جالندهر بمجيئهم ، وصارت محصّنة قوية الدفاع .

بنى هؤلاء الأفاغنة اثنتا عشرة معمورة ، واثنا عشر حيّاً ، منها : كوت بهادر خان ، وكوت أتشي ، وكوت بشكه ، وكوت محمد أمين خان ، وكوت قاسم خان ، وكوت فضل كريم خان ، وكوت سعادت خان ، وكوت بهورى خان ، وكوت بهار (جبل) خان ، وكوت جهان خان ، وكوت بلند خان . وحي رسته (رسته أخوند) وحيّ كرارخان ، وقرية دانشمند ، وقرية درويش ، وقرية غران ، وقرية بابا خيل ، وقرية بير داد خان ، وقرية إبراهيم خان ، وقرية متهو صاحب ، وقرية شاه قلي خان ، وقرية جديدة (بستي نو) وقرية قرخنة (التي دُمِّرت بيد السيخ) (26) .

أولاده :

تزوج مرزا خان نور خاتون ، ابنة عمه جلال الدين ، فرزق منها ابنا اسمه بهلول البركي. وكان عالمًا في الفقه والأصول والعربية ، وأديباً معروفاً باللغة الفارسية . وُلِد بهلول بمدينة جالندهر في حي كرار خان ، وتلمذ لطائفة من العلماء بجالندهر ، فمنهم : سيد عبد الرشيد(27) ، وسيد كبير بن قائم محمد قرشي ، وسيد عتيق الله الحسيني (28) . ثم أخذ الطريقة عن الشيخ محمد بن سعيد بن محمد

يوسف الأنبالوي(29) ، وصحبه مدة حياته . وبعد وفاته سافر إلى لاهور ، وأخذ الطريقة القادرية عن الشيخ بلاق اللاهوري .

ورث الشيخ بهلول البركي العلم والأدب والتصوّف من أبيه ، فكان خليفة للشاه بهيك الجشتي ، ولا يبرح بينه وبين المولوي جان محمد خان البركي نقاش حادّ حول مسألة السماع . علماً بأن الشيخ بهلول يقول بإباحة السماع ، بينما كان المولوي جان محمد خان البركي يعتبر السماع عملا لا يجيزه الشرع . وكان الشيخ بهلول البركي مع تضلّعه من علوم العارفين ذا معرفة أيضاً في علم القافية ونقد الشعر . وكان له براعة في قرض الشعر باللغة الفارسية ، التي كانت تعتبر علامة العلم والفضل في الأوساط العلمية كما كانت لغة رسمية في بلاطات الملوك والأمراء . وله ديوان شعر باللغة الفارسية ، يلقب فيه) أي المغفل GOALنفسه "خان بركي" . كما نجد له لقباً آخر "گول" (

.

كان الشيخ بهلول البركي قد شارك في تدريس بعض العلوم أيضاً . ذكر أصحاب التراجم أسماء عدّة تلامذة له ، منهم : سيد عليم الله الجالندهري (مترجم كتاب "نظم الدرر والمرجان في تلخيص سير سيد الإنس والجانّ" إلى اللغة الفارسية)، وسبها جند نادر (SUBHA CHAND NADIR.)، وعظمت خان البركي

توفي بهلول البركي بجالندهر عام 1170هـ ، ودفن قرب مصلّى العيد لمدينة جالندهر(30) . كان له ابن اسمه يحيى خان ، وكان نجماً لامعاً في سماء العلم . استشهد مدافعاً عن هجوم السيخ على مسلمي جالندهر عام 1758م . (31)

ترك الشيخ بهلول نحو تسعين مجلداً من المؤلفات ، التي تدل على ثقافته الواسعة وعلمه الغزير ، منها :

1. **شرح ديوان حافظ ، ورقمه : 5232/2227 ، مكتبة جامعة بنجاب في مجموعة مخطوطات شيراني .**
2. **مثنوي منصور نامه (خ) رقمه في الإيداع : 3766/733 مكتبة جامعة بنجاب**
3. **شرح ديوان غني الكشميري ، ألفه عام 1123هـ ، ورقمه : 5192/2181/3**
4. **شرح ديوان صائب ، ألفه عام 1124هـ بخط يده ، ورقمه : 5192/1281**
5. **شرح مثنوي معنوي ، الدفتر الأول والدفتر الثاني ، ألفه عام 1129هـ ، ورقمه : 6362**

6. السيف المسلول على من أعرض من سماع الرسول ، ألفه عام 1138هـ ، ورقمه : 1374/4425 (نسختان)
7. شرح ديوان ناصر علي ، بخط يده ، ورقمه : 5192/1281/2
8. فوائد الأسرار في رفع الأستار عن عيون الأغيار
9. عقائد عليّه در مذهب صوفيه ، ألفه عام 1140هـ ، ورقمه : 4425/1374/2
10. شرح مخزن الأسرار
11. مضامين التوحيد (ديوان شعره)

ذكر علي محمد ألأنصاري أن مرزا خان شاعر ، ألف "ديوان مرزا" باللغة الأفغانية وأعطاه الملك المناصب العالية ، ولكن مع كل ذلك كان رجلاً صالحاً متمسكاً بالشريعة .(32) وهكذا قال عنه المستشرق أولف كارو (OLAF CARO) في تاليفه المسمى (THE PATHANS) وذكر ذلك خان حسين ضياء نقلا عنه في (THE PATHANS OF JULLUNDER) وأتى بترجمة بعض الأبيات المنسوبة إلى مرزا خان .(33) وفي أردو دائرة المعارف الإسلامية : " ما مفهومه أن مرزا خان الأنصاري بن نور الدين من مشاهير هذه العائلة ، وكان شاعرا كبيرا في اللغة البشتوية، وله ديوان معروف ".(34) كذا في "رود كوثر" .(35)

هذا وكون مرزا خان شاعراً لا يثبت بالنقل ولا بالقرائن حيث لم يوجد له ديوان شعر باللغة البشتوية فحسب ، بل في أي لغة أخرى أيضاً . ولابدّ لنا من التصريح بأن رواية كون مرزا خان شاعراً أتى بها علي محمد الأنصاري خطأ أو وهماً ، فنقل تلك الرواية أولف كارو وخان حسين ضياء نقلاً . ثم رواها صاحب مقال "الحركة الروشانية" في أردو دائرة المعارف الإسلامية دون جرح ونقد . فقد وصل إلينا مؤلفات مرزا خان بالعربية والفارسية ، ولم يورد المؤلف فيها الأبيات إلا قليلاً . فنجد في نظم الدرر والمرجان ثلاثة أبيات ، أحد منها في مدح جود رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما قال لا قط إلا في تشهّده لو لا التشهّد كانت لاؤه

نعم

فنسب البيت المذكور إلى حسان بن ثابت حيث أن البيت للفرزدق . وهذا يدل على أن مرزا خان لم يكن له اهتمام كبير بإتيان الأبيات الشعرية استشهاداً أو تذوقاً .

وهبك لو كان مرزا خان شاعراً معروفاً صاحب ديوان ، كما ذكر علي محمد الأنصاري أحد أصحاب التراجم الذي كان قريب العهد

لمرزا خان ومن عائلته ، ووقف على كونه شاعرا ، فلماذا لا يوجد في مؤلفاته شيء ينمّ عن كونه شاعرا ؟

أما قول الدكتور جهانكير خان : "إنه (مرزا خان) رتّب ديوان مرزا باللغة الأفغانية ". (36) فتصريح الدكتور هذا لا ينبئ عن كونه شاعراً ؛ لأن قول الشعر شيء ، وترتيب الديوان شيء آخر . فترتيب الديوان يعني تدوينه وتنسيقه ، أي إذا كان لبعض الشعراء قصائد غير مرتبة فيرتبها أحد الأدباء حسب القافية على المنهج المعروف لترتيب الدواوين الشعرية ، فعمله هذا يسمى ترتيباً .

ومن الذين اعتبروا "نظم الدرر والمرجان " ديوان الشعر بدلاً من أن يعتبروه تأليفا في السيرة النبوية محمد أيوب خان صاحب تذكرة أفاغنة جالندهر حيث يقول : إن مرزا خان الأنصاري عليه الرحمة والد بهلول البركي صاحب ديوان شعر اسمه " نظم الدرر والمرجان " ، ونقل "ديوان مرزا " إلى الفارسية سيد عليم الله الجالندهري .(37) فقول أيوب خان هذا يدلّنا على أن بعض أصحاب التراجم وقعوا في الوهم من لفظة "نظم" في "نظم الدرر والمرجان" فاعتبروه كتاب شعر لمؤلفه . ولعل سبب ذلك يرجع إلى أنهم لم يصل إليهم إلا اسم"نظم الدرر والمرجان"، فتوهموا أن الكتاب في الشعر ؛ لأن كلمة "نظم" في شبه القارة عامة ما تطلق على مجموعة الأبيات الشعرية . ولعل محمد أيوب خان سمع رواية شفهية أنه كان لمرزا خان الأنصاري ديوان شعر باللغة الأفغانية باسم "نظم الدرر والمرجان" ، فنقله إلى الفارسية سيد عليم الله الجالندهري . أخذها بدون غربلة وتحقيق ، ثم ذكرها في تأليفه ما سمع . إذ أن الحقيقة هي أن نظم الدرر والمرجان في موضوع السيرة النبوية وشمائله صلى الله عليه وسلم حيث أننا حصلنا على ست من مخطوطاتها في إقليم بنجاب الغربي من مختلف المكتبات الحكومية والشخصية ، علماً بأن الكتاب ألّف في جالندهر في إقليم بنجاب الشرقي بالهند ، والنسخ الأخرى التي علمنا بوجودها في الهند ، نحو نسخة مكتبة بانكي بور ونسخة مكتبة إدارة التحقيقات بمدينة تونك براجهستان ، ولم نتمكن من الحصول عليها . كذلك حصلنا على الترجمة الفارسية له التي طبع سنة 1902م.

توفي مرزا خان رحمه الله تعالى عام 1100 هـ ، بعد إتمام تأليفه هذا بتسع سنوات .(38)

سلسلة نسب أوحد الدين مرزا خان (39)

ثقافته :

تعلم مرزا خان اللغة العربية والفارسية إلى جانب العلوم الدينية ، لأنهما كانتا متداولتان في ذلك العصر ؛ إذ كانت الفارسية لغة الديوان ولغة رسمية ، والعربية لغة التعليم في المدارس ، فأصبحت كلتاهما لغة التأليف والتصنيف . وكان مرزا خان من كبار العلماء كما نراه في ضوء مؤلفاته ، وكان له مكانة علمية في مدينة جالندهر وما

حولها . وعرف له الناس هذه المكانة ، فكانوا يزورونه ويستمعون منه ويسألونه حول المسائل العلمية ، وقد صرّح به مرزا خان في مؤلفه " شرح قول جنيد البغدادي " (ص : 1 ، س : 12) قائلا :

" سألني بعض الصلحاء المتوجه إلى الله في السرّاء والضرّاء ممن يلزمني الإسعاف سرو الإنجاح بملتمسه عن قول سيد الطائفة وإمام أرباب الطريقة الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي نور الله مرقده ...: لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق " .

ومما يدلّ على ثقافته الواسعة هو استدلاله بالحديث النبوي وأقوال السلف الصالح ، كما يقول في كتابه " تنبيه الأغبياء " (ص : 4 ، س : 11-14) :

"إن كان في الأجل مهلة وضعت إن شاء الله تعالى سبحانه رسالة أخرى بالفارسية ، وأكتب أجوبة الاعتراضات برُمَتها بالترتيب بأن أذكر كلامه الذي يوهم بظاهره ما يخالف الشريعة ، وأذكر كل ما أورد عليه وأكتب جوابه تحتها ، ثم وثم إلى أن يتمّ بهذا النسق . وأصدّر معظم أجوبة منها بدليل عقلي ونقلي من حديث أو كلام الأكابر من السلف والخلف ".

كانت لمرزا خان شخصية متميزة ، كما عرفناه في ضوء مؤلفاته ، فهو :

محدِّثٌ حيث عبّر عن نفسه في "تنبيه الأغبياء" (ص : 2 ، س : 10) وفي "نظم الدرر والمرجان" (ص : 1 ، س : 10) بقوله : "فيقول العبد المسكين ، المتمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين أحد خدّام حديثه صلى الله عليه وسلم ". وصوفيٌّ : فقال في رسالته "تنبيه الأغبياء" (ص : 2 ، س : 12-13): "هذه رسالة عظيمة النفع ألفتها خالصة لوجهه الكريم موجباً للفوز لديه في جنات النعيم توذن بوجوب تسليم كلما قاله القوم من السادة الصوفية ، وتكلموا به رضي الله عنهم .." . وفقيهٌ : فقد ألّف عدّة رسائل حول المسائل الفقهية ، وعرض أحكام مذهبه الحنفي من خلال ذكر الأدلة .

مراسلته مع الشيخ محمد معصوم :

كان مرزا خان يراسل العلماء ، ولكنني لم أحصل على خطاباته ، إلا أنني حصلت على رسالتي الشيخ محمد معصوم أرسلهما إلى مرزا خان ، اللتان تشيران أن سلسلة الرسائل كانت موجودة من قبل . ولعلّ هاتين الرسالتين في الردّ على استفسارات من قِبل مرزا خان . فكان له صلة مع شيخ الطريقة النقشبندية ، غير أنه لم يستطع الذهاب إلى السرهند للاستفادة من شيخه والصحبة له لسبب ما . فكان

مرزا خان يسترشد منه بالرسائل . كما كان الشيخ محمد معصوم يقدر منزلته العلمية ، ويرغب أن ينضمّ مرزا خان في سلسلته .

البيئة العلمية في عصر المؤلف

عاش المؤلف رحمه الله تعالى في القرن الحادي عشر الهجري . والقرن الذي مضى قد رأى أحداثاً ومؤامرات ضد الإسلام لها آثار عميقة على المسلمين في الهند . ففي وسط القرن العاشر بدا التحدي لقيادة الإسلام ، بل لوجود الإسلام منذراً بزوال كل الأسس الثقافية والفكرية التي أرسى قواعدها بنوه منذ دخول الإسلام في الهند ، على أساس من الإسلام متين ، وكاد الخطر يقضي عليه

وكان في العالم الإسلامي حينذاك دولتان عظيمتان : الدولة العثمانية ودولة المغول في هذه القارة . وكانت هناك دولة أخرى ، الصفوية في إيران . فالذي حدث في القارة الهندية ، أن سلطانا ذكيا ، قويّ العزم أنشط حركة وحدة الأديان ، التي اشتهرت بعد ذلك بالدين الإلهي ، بدعم العلماء الأذكياء ، مثل فيضي ، وأبي الفضل . وهذه الحركة حاولت توجيه الهند إلى الضلال وعدولها عن الإسلام . فالقوة المادية والفطنة ظهرتا كقوة واحدة ، حتى صرّح القائلون بأن مدّة ألف سنة تكفي لدين . وهذا الجيل يحتاج إلى دين جديد . وكان الذي حمل لواء هذه الحركة رجل لا يعرف الهزيمة ، والذي أبدى عطفاً شديداً على الهندوسيين وميلاً نحوهم . فنزلت في المسلمين طامة ، ومصيبة عظمى في نهاية القرن العاشر ، حتى رؤيت ثورة كادت تقضي على جهود فاتحي هذه البلاد ، وجهود العلماء الذين نشروا روح الحب والعدل والمساواة من ناحية ، وراقبوا الملك والمجتمع روحيا ، ودعموه برجال صالحين أمناء من ناحية أخرى ، أمثال الشيخ معين الدين الجشتي وغيره رحمهم الله تعالى .

ولكن بعد جميع هذه المحاولات التي مهّدت لهدم الوجود الإسلامي ، شاءت إرادة الله أن يقف أمام هذا الضلال الممزوج بالقوة والفطنة رجل من رجال العلم ، يزوّد الأمة الإسلامية الطاقة الروحية ، لتصمد وتجاهد . فطلع على أفق العلم والروحانية نجم لامع في صورة الشيخ أحمد السرهندي (ت : 1034 هـ) رفع راية الجهاد وصلاح أحوال الأمة ، ودعاها إلى التأسي بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . فكانت نتيجة جهوده المستمرّة بدأت تظهر في بداية القرن الحادي

عشر ، وعاد الأمل يشرق في النفوس المؤمنة من جديد . مكث الشيخ في سرهند ، يشدّ أزر المسلمين ، يراسلهم ، ويوحّد صفوفهم ، وكانت له رحمه الله تعالى جهود مشكورة في توحيد كلمة المسلمين .

آثاره العلمية :

مؤلفات عديدة في مجال – رحمه الله تعالى –ترك مرزا خان الفقه والتصوف والسيرة . ويمكن إجمال مؤلفاته التي وصلت إلينا على النحو التالي :

1- تنبيه الأغبياء : نسخة خطية محتفظة بها في مجموعة شيراني بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم (2158). ألفه مرزا خان للدفاع عن الشيخ المجدد للألف الثاني أحمد السرهندي كما دافع الإمام الشعراني عن الشيخ ابن العربي رحمهما الله تعالى وسمّاه "تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء". وبيّن الدافع لتأليفه في الصفحة الثالثة والسطر الثاني عشر بقوله :

" اعلم يا أخي أن معظم قصدي ومطمح نظري بتأليف الشيخ أحمد ...تلك الرسالة الذبّ عن القطب الرباني الفاروقي النقشبندي الكابلي السهرندي .. " .

ثم قال : "إن كان في الأجل مهلة وضعت إن شاء الله تعالى سبحانه رسالة أخرى بالفارسية ، وأكتب أجوبة الاعتراضات برُمّتها بالترتيب".

وعّرف التصوّف في الصفحة الثانية من الكتاب قائلا :

" إن علم التصوّف عبارة عن علم انقدح من قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة . فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ...."

2- بوارق الأنيار في ذبّ الأشرار عن الأخيار (40): رسالة لطيفة الحجم تبدأ من "الموطن الثاني في ذكر ترجمة كرامات القطب الرباني ... سيد عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد الشعراوي .." . إن الرسالة _ على ما يبدو _ ناقصة من أولها . وهي نسخة خطية محتفظة بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور .

3- شرح حديث الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما : نسخة خطية باللغة الفارسية محتفظة بمكتبة جامعة بنجاب تحت رقم (2158) وتحتوي على اثنتين وعشرين صفحة .

4- شرح قول جنيد البغدادي : رسالة تحتوي على اثنا عشرة صفحة . أشار المؤلف في المقدمة دافع تأليفها قائلا :

"سألني بعض الصلحاء (41) المتوجه إلى الله في السّرّاء والضرّاء ممن يلزمني الإسعاف سرو الانجاح بملتمسه عن قول سيد الطائفة وإمام أرباب الطريقة الشيخ أبي القاسم الجنيد البغدادي ... :

" لا يبلغ أحد درجة حتى يشهد فيه ألف صديق بأنه زنديق ".

5- نبذ تاريخية : في حدود ثماني صفحات ، ذكر فيها حوادث حول السيرة النبوية بالإيجاز حسب الترتيب الزمني ، بدءاً من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة حتى وفاته .

6- نظم الدرر والمرجان : ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية والأردية . وطبعت الترجمة الفارسية عام 1902م.

7- تعزيت نامه : رسالة في الزهد ، بالفارسية .

8- ذكر مذاهب العلماء في مسح الرجلين : رسالة ألفها بالعربية .

9- رسالة في النهي عن تخضب الشعر ، بالفارسية .

10- رسالة في التنفل بعد الوتر ، بالفارسية .

11- رسالة في مسألة النظر والمسّ ، بالفارسية .

12- كتمان الأسرار : ذكرها د. جهانكير خان في أردو دائرة المعارف الإسلامية ، في مقال تحت عنوان "بركي" ، ووجدت لها صفحة ونصف صفحة .

13- الأحاديث النبوية : ليس مؤلفا مستقلا ، بل هي ملتقطات مما جمعه مرزا خان من كتب الحديث ليضمنه في مؤلفه "نظم الدرر والمرجان" ، وذكر مصادرها .

الهوامش

[1] - انظر : (ص : 2) .
2- ذكر علي محمد الأنصاري - صاحب تذكرة الأنصار (ص : 12) أن في نفحات الأنس : محمد بن علي بن أبي منصور .
3- سافر مت الأنصاري إلى خراسان مع أحنف بن قيس في عصر سيدنا عثمان بن عفان الخليفة الثالث ، وأقام في هرات . المرجع السابق (ص : 13) والله أعلم بالصواب .
4 - تنبيه الأغبياء "خ" (ص : 1)
5 - Gazetteer of the Julludur District 1940 (ص : 99)
6- المرجع نفسه (ص : 101)
7- تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 194 – 195)
8- المرجع نفسه (ص : 164 – 165)
9 - تذكرة الأنصار (ص : 14 – 15) و Gazetteer of the Julludur District 1940(ص : 97)
10- المرجع السابق .
11- انظر : (ص : 101)
12- The Pathans (ص : 23) لأولف كارو ، طبع مؤسسة ماكميلون ، طبعة 1962م.
13- تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 125)
14- راجع : " Central Asia" (2 / 199) لماك جريجور ، الموجود في مكتبة متحف بشاور . و The Pathans of Jullundur District (ص : 11) لخان حسين ضياء ، طبع المكتبة العلمية بلاهور عام 1994م. و كاتي كرم قرية قديمة تقع فوق هضبة مستطيلة على ثغور باكستان ، وكل هذه المنطقة من مستوني إلى كاتي كرم منطقة قبلية تسمى وزيرستان . وتوزع وزيرستان إلى الشمالية والجنوبية . وكانت هذه القرية العامرة تحتوي على أربعمائة بيت يسكنها ثلاثة آلاف نفر من عدة قبائل " برك " . انظر : " The Pathans " (ص : 23) The Pathans of Jullundur District (ص : 5) و Gazetteer of the Julludur District 1940 (ص : 99) .
15- مستوني أو مستوي قرية تقع في وزيرستان الشمالية .
16- تذكرة الأنصار (ص : 28 – 29) .
17- Gazetteer of the Julludur District 1940 (ص : 98) . ويروى أنه كان يطير كثيرا ، لذا اشتهر بـ" بابا شهباز برند " . (والله أعلم بصحة ذلك) راجع : تذكرة الأنصار (ص : 20) .
18- هي آمنة ، وتنطق بالإمالة " أيمنة " عند البعض في القارة الهندية .
19- تذكرة الأنصار (ص : 132 – 133) .
20-المرجع السابق (ص : 131) وتاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند (219/4 – 222) لمقبول بيك البدخشاني ، طبع جامعة بنجاب بلاهور ، عام 1971م .
21- أي الأرض التي تقع بين نهري بياس وستلج .
22- تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 30 – 32) وتاريخ مخزن بنجاب (ص : 193 – 194) Gazetteer of the Julludur District 1940, (p : 20-21)
23- تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 27) .
24- Gazetteer of the Julludur District 1940 (ص : 101)
25- المرجع السابق (ص : 99) و تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 146)
26- A Glossary of Tribes & Castes ج : 2 ، تحت عنوان "بركي" لأيتش أيه روز ، طبع مطبعة سيويل و ميلتري كزت بلاهور، وتذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 35) .

27- هو عبد الرشيد بن محمد أشرف الحسيني الجالندهري ، أحد العلماء المتصوفين . ولد ونشأ بجالندهر ، ولازم الشيخ محمد سعيد الأنبالوي وأخذ عنه الطريقة . مات سنة 1121هـ .نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (157/6) ، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند .

28- هو سيد عتيق الله بن فاضل بن مصطفى الجالندهري ، والد سيد عليم الله الجالندهري مترجم كتاب نظم الدرر بالفارسية . أخذ الطريقة عن الشيخ أبي المعالي . توفي سنة 1131هـ. المرجع السابق (184/6) وفقهاء الهند (246/5) لمحمد إسحاق بهتي ، طبع إدارة ثقافت إسلامية بلاهور سنة 1981م .

29- كان من كبار الشيوخ الجشتية ، وكانت له مكانة عالية في اتباع السنة السنية . توفي سنة 1103هـ . نزهة الخواطر (320/6-322) .

30- تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 153) .

31- المرجع السابق (48/6) وتذكرة علماء الهند (ص : 34) وحديقة الأولياء(ص : 102-103) وفقهاء الهند

(117/5) وباكستان مين فارسي أدب (ص : 387-396) .

32- تذكرة الأنصار (ص : 134)

33- (ص : 22-23)

34- (386/10)

35- (ص : 364 – 372)

36- Oriental College Magazine - 1955 (P : 60)

37- تذكرة أفاغنة جالندهر (ص : 153)

38- خدمات علماء بنجاب للغة العربية (رسالة الدكتوراه) لمحمد طفيل (ص : 203) ، ويقول الدكتور : إنه كان محدثا ، ولم أعثر على أحواله .

39- استعنت في سلسلة نسب مرزا خان بالمراجع التالية : 1- تذكرة أفاغنة جالندهر 2- تذكرة الأنصار

3- Gazetteer of the Julludur District 1940 - 4 Oriental 1955 College Magazine

40- انظر : باكستان مين فارسي أدب (ص : 387)

41- الصلحاء : مفرده الصليح بمعنى الصالح .

المراجع

1- إسحاق بهٹی ، محمد - فقهاء الهند - طبع إدارة ثقافت إسلامية بلاهور سنة 1981م .

2– البدخشاني ، مقبول بك ، البروفيسور – تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند – (الأردية) المجلد الرابع ، فارسي أدب ، طبع جامعة بنجاب ، لاهور، 1971م .

3 – رحمان علي ، مولوي – تذكرة علماء هند – (الأردية) نقله من الفارسية محمد أيوب قادري ، طبع :
باكستان هستوريكل سوسائتي ، كراتشي .

4– ظهور الدين أحمد ، الدكتور– باكستان مين فارسي أدب – (الأردية) (1119م – 1259م) طبع إدارة تحقيقات
باكستان بجامعة بنجاب ، الطبعة الأولى سنة 1977م.

5– عبد الحي بن فخر الدين الحسني – نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر – طبع دائرة المعارف العثمانية
، حيدرآباد ، الهند ، تصوير الطبعة الأولى 1376هـ .

6– علي محمد الأنصاري – تذكرة الأنصار – نقله من الفارسية إلى الأردية مرزا هادي بيك ، طبع المكتبة
العلمية ، لاهور .

7- غلام سرور قرشي - تاريخ مخزن بنجاب - طبع دوست ايسوسي ايتس ، لاهور ، سنة 1966م .

8– غلام سرور اللاهوري ، مفتي– حديقة الأولياء – طبع إسلامك بك فاؤنديشن ، لاهور ، عام 1976م .

9– محمد أيوب خان – تذكرة أفاغنة جالندهر– طبع باكستان برنتنك وركس ، لاهور

10 – محمد حسين ، حافظ مرادآبادي – أنوار العارفين – (فارسي) مطبعة منشي نول كشور ، لكناؤ .

11– محمد طفيل – خدمات علماء بنجاب للغة العربية (رسالة الدكتوراه) مكتبة جامعة بنجاب ، لاهور.

12– مرزا خان البركي ، أوحد الدين – تنبيه الأغبياء (خ) مجموعة شيراني بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور ، رقم الإيداع (2158).

13- GAETTEER of the JULLUNDUR DISTRICT (1940)
Sag-e- Meel Publications, Lahore.

14 -H. A. ROSE
15-A Glossary of the Tribes and Castes of the Punjab and the North West Frontier Provinces , Civil & Militry Gazette Press , Lahore . 1911

16- Jahangir Khan , Dr. "
- Oriental College Magazine -1955- University of The Punjab, Lahore. SHEIKH UL AALAM"

17. K. HUSSAN ZIA
- The Pathans of Jullunder - Maktaba Elmia , Lahore. 1994

18- MAC GREGOR , L. C. M.
Centeral Asia - Peshawer Museum Library .

19- OLAF CAROE
-The Pathans – Macmilon co. 1962

20 - STOREY , C . A
.- Persian Literature – The Royal Asiatic Society of Great Britian & Ireland. 1970